

ما هو "سر المسيح"؟

بقلم: شكري حبيبي

ذكر الرسول بولس في الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل أفسس، المؤمنين بالمسيح من الأمم، ببعض الحقائق الروحية الهامة. فكتب قائلاً لهم: "لذلك اذكروا أنتم الأمم قبلاً في الجسد المدعويين غرلة من المدعو ختانا مصنوعاً باليد في الجسد. أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم وبلا إله في العالم." ثم استدرج قائلاً: "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط. أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين." ثم ختم الرسول بولس كلامه بالقول: "فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية." (أفسس ٢: ١١-١٩، ١٧ و ٢٠)

ماذا تعني هذه الحقائق الروحية التي كثيراً ما نغفل أهميتها؟ إنها تؤكد وبصريح العبارة، أنه بعد مجيء الرب يسوع المسيح وعمله الكفاري على الصليب، نقض حائط السياج المتوسط الذي كان قائماً قبل المسيح بين اليهود والأمم وانتهت العداوة بينهما. ولم يعد هناك فرق البتة بين المؤمنين بالمسيح، سواء كانوا من أصل أممي أم يهودي. وأن الاثنين قد صاروا واحداً. وأن هذا الشعب الجديد الواحد الذي تكون هو شعب الله الحقيقي. وليس هذا فحسب بل

إن المؤمنين بالمسيح من الأمم، صاروا رعية مع القديسين ومن أهل بيت الله، أي صاروا مواطنين في ملكوت الله مع المؤمنين بالمسيح من اليهود، ومن شعب الله الواحد لهم كافة الحقوق والامتيازات. وأن شعب الله الواحد هذا أصبح هو هيكل الله الحقيقي، الذي يسكن فيه الله بروحه القدس. "الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكل مقدس في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح." (أفسس ٢: ٢١ و ٢٢)

كان لابد للرسول بولس أن يؤكد هذه الحقائق الروحية، لأن الاعتقاد السائد في ذلك العصر الرسولي الأول، كان ما يزال متأثراً بالفكر اليهودي المستمد من العهد القديم، والقائل أن اليهود هم فقط شعب الله، وأن كل من يؤمن بالمسيح عليه أن يتهود، أو يبقى مجرد تابع لشعب الله، أي مواطناً من الدرجة الثانية في ملكوت الله، بحسب مفهومنا اليوم. لكن الرسول بولس في تذكيره هذا أكد

أن المؤمنين بالمسيح من الأمم صاروا مساوين تماما للمؤمنين بالمسيح من اليهود، ويتمتعون مثلهم بكافة الحقوق والامتيازات. وأن الاثنين أي الأمم واليهود صاروا واحدا.

ما هو سر المسيح؟

لكن الرسول بولس لم يتوقف عند هذا الحد بل كشف في الأصحاح الثالث من الرسالة إلى أفسس عن أمر جديد هام جدا، وهو الذي وصفه "بسر المسيح"، إذ كتب قائلا أن الله "بإعلان عرفني بالسر. كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح. الذي في أجيالٍ أحر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وانبيائه بالروح." ثم كشف لنا الرسول بولس في العدد التالي عن ماهية سر المسيح هذا، إذ أضاف قائلا: " أن الأمم شركاء

في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالإنجيل." (أفسس ٣:٣-٦)

إن سر المسيح إذن، هو أن المؤمنين بالمسيح من الأمم، لم يصبحوا واحدا مع المؤمنين بالمسيح من اليهود فحسب، بل صاروا شركاء في الميراث وكل البركات التي وهبها الله لشعبه قديما، وشركاء في كل المواعيد وعلى رأسها الموعد بمجيء المخلص والملك المسيح، وذلك من خلال بشارة الإنجيل. أما النتيجة الوحيدة المنطقية لهذا الأمر، أنه أصبح يوجد بعد مجيء المسيح وعمله الكفاري على الصليب، وقيامته الظاهرة، شعب واحد لله، يتمتع بكافة الامتيازات والحقوق، ويرث كل بركات ومواعيد الله التي سبق له أن وعد بها شعبه القديم. ولم يعد هناك بالتالي شعبان لله، الشعب القديم والكنيسة. ولنلاحظ هنا أن الرسول بولس لم يحدد فترة زمنية ينتهي فيها هذا الوضع الجديد. إن كل من يريد أن يصبح من شعب الله، لابد أن يؤمن بالمخلص المسيح، وينضم إلى جسده، الكنيسة، شعب الله الحقيقي الوحيد.

سر المسيح أم سر الكنيسة؟

والجدير بالذكر أن الرسول بولس وبوحي من روح الله القدوس، لم يستخدم تعبير "سر الكنيسة" بل "سر المسيح" وهناك فرق شاسع بين التعبيرين. لقد كشف الله للرسول بولس عن هذا السر العظيم الذي كان مكتوما، والذي لم يُعلن سابقا في العهد القديم، سر المسيح، أن الأمم سيصبحون شركاء في الميراث والجسد ونوال موعد الله في المسيح بالإنجيل. وهذا أمر يختلف بالكلية، وبعيد جدا، عن القول أن الكنيسة هي السر الذي أُعلن. إن السر الذي كان مكتوما إذن ليس هو الكنيسة، بل أن المؤمنين بالمسيح من الأمم سيصبحون شركاء في كل مواعيد وبركات العهد القديم.

الكنيسة هي الهدف

ولهذا نجد الرسول بولس يتابع قائلاً: "لي أنا أصغر

جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح." ثم كشف الرسول بولس عن السبب الذي أعلن فيه الآن سر المسيح، فعبر عن ذلك قائلاً: "لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا." (أفسس ٣: ٨-١١) لقد كانت خطة الله منذ الأزل، أن يُعلن خلاصه للبشر جميعاً، بواسطة تجسد ابنه الوحيد، الاقنوم الثاني في اللاهوت، الرب يسوع المسيح، وقيامه بعمل الفداء للتكفير عن خطية الجنس البشري. وأن يوجد له شعباً من كل قبيلة وأمة وشعب ولسان، هذا الشعب المفدي المخلص الذي هو الكنيسة. أجل، لقد كانت الكنيسة هي هدف الله منذ الأزل، والذي كشف من خلالها الله عند الرؤساء والسلاطين في السماويات عن حكمته العجيبة المتنوعة. لهذا نجد أن الله بدأ يحضّر منذ فجر التاريخ، عن طريق تعامله الطويل والمتنوع مع الإنسان، لهذا الزمن الذي سيُعلن فيه خلاصه، ويظهر فيه حكمته العجيبة بواسطة الكنيسة من خلال الرب يسوع المسيح. فالكنيسة لم تكن خطة طارئة في عمل الله، بل كانت هي هدف الله منذ الأزل.

أمام هذه الحقائق الهامة لم يسع الرسول بولس إلا أن ينشد ويسبح الله، ويهتف قائلاً: "بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح الذي منه تُسمى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض." (أفسس ٣: ١٤ و١٥) حقا ما أعظم عمل الله، وما أعمق محبته لنا نحن البشر الخطاة. فهل نشكر الله كمؤمنين على ما عمله من أجلنا؟